الاستواء على العرش وعظمة الله

..... فنعرف أن ربنا سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض؛ كما أخبر بذلك قال سبحانه وتعالى: { إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } فأخبر بأنه الذي خلق السماوات والأرض وأنه الذي استوى على العرش. وكذلك أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بعظمة السماوات وما بينها من المسافات، وأن ما بين سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة. وهذا هو الثابت، وأما في الآثار التي فيها خمسون ألفًا أو عشرة آلاف سنة، فإن هذا لم يكن بإسناد قوي. وما ورد خمسمائة سنة لم تصل إلى ألف؛ فضلا عن عشرة آلاف فضلا عن خمسين ألفًا فيعتمد ما ثبت. وكذلك أيضًا استواء الله على العرش ذكر في سبعة مواضع من القرآن، وهذه السبع اطردت على ذكر الاستواء. وسئل عنه بعض السلف كأم سلمة وربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس فقالوا: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. هذا هو كلامهم. فأخبروا بأن الاستواء معلوم أي مفهوم معناه له معنى. وذلك المعنى مفهوم بحيث أنه يفسر ويبين ويترجم من لغة إلى لغة. إلا أن له كيفية وتلك الكيفية لا يجوز البحث عنها الكيف مجهول. هكذا أجاب هؤلاء السلف رحمهم الله. وعليه اتفق العلماء حيث فسروا الاستواء: ففسره بعضهم بالاستقرار { اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } استقر. وفسره بعضهم بالعلو: علا، وفسر بالارتفاع: ارتفع على العرش، وفسر بالصعود. ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله في قوله: ولهم عبارات عليها أربع قد جررت للفارس الطعان وهي استقر وقد علا وكذلك ار تفع الذي ما فيه من نكران وكذاك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيباني يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقرآن هذا هو ما دلت عليه هذه الكلمات. وأما كيفية الاستواء فإننا نتوقف عنها. ويقال كذلك في بقية صفات الله سبحانه.